

❖الحلقة الثالثة والأخيرة

(كذبو علينا . . . ففضحناهم بالتاريخ)
مذكرات (همفر) في الميزان

• بقلم: مالك بن حُسين

الملاحظة الثانية عشرة: ذكر في (٩٨)؛ أنَّ من الخطط التي وضعت (للشيخ محمد ابن عبدالوهاب) تكفير كل المسلمين، وإباحة قتلهم، وسلب أموالهم.

أقول: هذا من الافتراءات الكثيرة التي روّجها أعداء (الدَّعوة)، وأنا ناقل من كلام (الإمام محمد بن عبدالوهاب) ما يدحض هذه الفرية، ويُبيِّن أنَّ منهجه في (التكفير) هو (منهج أهل السُّنَّة والجماعة).

قال -رحمه الله-: «أركان الإسلام الخمسة: أوَّلها الشهادتان، ثم الأركان الأربعة؛ إذا أقرَّ بها وتركها تهاوناً، فنحن وإن قاتلناه على فعلها، فلا نكفِّره بتركها، والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها كسلاً من غير جحود، ولا نكفِّر إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم؛ وهو الشهادتان»اهـ[1]، وقال -رحمه الله-: «ولا نكفِّر من عبد الصَّنم الذي على قبر عبدالقادر، والصَّنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهما؛ لأجل جهلهم، وعدم من ينبِّههم»اهـ[2]، وقال -رحمه الله-:

(١) «تاريخ نجد»: (٢/ ٢٧١)، ومؤلفات الشيخ «القسم الثالث -الفتاوى- ص٩»، و«الدُّرر السَّنِيَّة في الأجوبة النجدية» (١/ ١٠٢).
(٢) مؤلفات الشيخ «القسم الثالث -الفتاوى- ص١١».

«وأما الكذب والبهتان؛ فمثل قولهم: إنّا نكفّر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وأنّا نكفّر من لم يكفّر ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان؛ الذي يصدُّون به النّاس عن دين الله ورسوله . . »اهـ(١)، وقال -رحمه الله-: «ولا نشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار؛ إلا من شهد له رسول الله ﷺ، ولكني أرجو للمسلم، وأخاف على المسيء»اهـ(٢)، وقال -رحمه الله-: «ولا أكفر أحداً بذنب، ولا أُخرجه من دائرة الإسلام»اهـ(٣)، وقال -رحمه الله-: «وأمّا ما ذكره الأعداء عنّي أنّي أكفّر بالظنّ، والموالاة، أو أكفّر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم؛ يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله»اهـ(٤)، وقال -رحمه الله-: «والله يعلم أنَّ الرَّجل [ابن سحيم] افترى عليَّ أموراً لم أقُلْهَا، ولم يأت أكثرها على بالي؛ فمنها: أنّي أكفّر البوصيري، وأنّي أكفّر من حلف بغير الله . . جوابي عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم»اهـ(٥)، وقال -رحمه الله-: «وأجلبوا علينا بخيل الشيطان وَرَجِلِه؛ منها: إشاعة البهتان بما يستحي أن يحكيه، فضلاً على أن يفتريه، ومنها ما ذكرتم: أنّي أكفّر جميع الناس إلا من اتّبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، ويا عجباً كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟!! . . .»اهـ(٦)، وقال -رحمه الله-: «وكذلك تمويهه على الطغام بأنَّ ابن عبدالوهاب يقول: الذي ما يدخل

(١) مؤلفات الشيخ «القسم الثالث -الفتاوى- ص١١».

(٢) مؤلفات الشيخ «القسم الخامس -الرسائل الشخصية- ص١١».

(٣) مؤلفات الشيخ «القسم الخامس -الرسائل الشخصية- ص١١».

(٤) مؤلفات الشيخ «القسم الخامس -الرسائل الشخصية- ص٢٥».

(٥) مؤلفات الشيخ «القسم الخامس -الرسائل الشخصية- ص١١، ١٢، ٦٢».

(٦) مؤلفات الشيخ «القسم الخامس -الرسائل الشخصية- ص٣٦».

تحت طاعتي كافر، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، بل نُشهد على ما يعلمه من قلوبنا بأنَّ من عمل بالتوحيد، وتبرأ من الشِّرك وأهله، فهو مسلم في أيِّ زمان وأيِّ مكان، وإنَّما نكفِّر من أشرك بالله في إلهيته بعد ما تبيَّن له الحجة على بطلان الشِّرك»اهـ[1]

وقال –رحمه الله–: «وأما القول: أنَّا نكفِّر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء، الذي يصدّون به عن هذا الدِّين، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم»اهـ[2].

والآن أذكر لك أيّها (القارئ الكريم) شهادة (حقٍّ) من بعض العلماء على هذا الكلام:

قال الشيخ العلامة الكبير المحدِّث الفقيه النحرير (محمد بشير السهسواني الهندي) نافياً عن الشيخ (محمد بن عبدالوهاب) تهمة (تكفير المسلمين واستباحة قتلهم وسلب أموالهم وهتك أعراضهم): «إنَّ الشيخ وأتباعه لم يُكفروا أحداً من المسلمين، ولم يعتقدوا أنَّهم هم المسلمون، وأنَّ من خالفهم هم المشركون، ولم يستبيحوا قتل أهل السُّنَّة وسبي نسائهم . . . ولقد لقيت غير واحد من أهل العلم من أتباع الشيخ، وطالعت كثيراً من كتبهم، فما وجدت لهذه الأمور أصلاً وأثراً، بل كلُّ

❖ **قال الشيخ العلامة الكبير المحدِّث الفقيه النحرير (محمد بشير السهسواني الهندي): «إنَّ الشيخ وأتباعه لم يُكفروا أحداً من المسلمين، ولم يعتقدوا أنَّهم هم المسلمون، وأنَّ من خالفهم هم المشركون، ولم يستبيحوا قتل أهل السُّنَّة وسبي نسائهم . . . ولقد لقيت غير واحد من أهل العلم من أتباع الشيخ، وطالعت كثيراً من كتبهم، فما وجدت لهذه الأمور أصلاً وأثراً، بل كلُّ هذا بهتان وافتراء».**

(١) مؤلفات الشيخ «القسم الخامس –الرسائل الشخصية– ص٦٠».
(٢) مؤلفات الشيخ «القسم الخامس –الرسائل الشخصية– ص١٠٠-١٠١».

هـذا بهـتان وافتراء»اهـ[1]، وعلَّق (الشيخ محمـد رشـيد رضـا) على الكلام السابق بقوله: «بل في هذه الكتب خلاف ما ذُكر وضـدُّه؛ ففـيها أنّهـم لا يُكفِّـرون إلا من أتى بما هو كفر بإجماع المسلمين»اهـ[2].

الملاحظة الثالثة عشرة: ذكر في (٩٨)؛ أنَّ مـن الخطـط الـتي وضِعت (للشيخ محمد ابن عبدالوهاب)؛ هدم القباب والأضرحة.

أقول: أخـرج (مسـلم) في «صـحيحه» عـن أبـي الهـياج الأسـدي، قـال: قال لي علـيٌّ -رضـي الله عنه-: ألا أبعثك على ما بعـثني علـيه رسـول الله ﷺ؟ «أن لا تـدع تمـثالاً إلا طمسـته، ولا قـبراً مشـرفاً إلا سويته».

وأخرج عن جابر -رضي الله عنه- قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يُجصّص القبر، وأن يبنى عليه، وأن يكتب عليه».

وأخرج عن ثمامة بن شُفيّ قال: كنّا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس، فتوفي صـاحب لـنا، فأمـر فضـالة بـن عبيد بقبره يُسوَّى، فسُوِّي، ثم قال: «سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها».

قال الترمذي -رحمه الله- : «باب ما جاء في تسوية القبور».

وقـال ابـن ماجـه -رحمه الله- : «باب ما جـاء في الـنهي عـن البـناء عـلى القـبور وتجصيصها والكتابة عليها».

قـال الـنووي -رحمـه الله- في «شـرح صحيح مسلم»: «قال الشافعي -رحمه الله-: رأيت الأئمة في مكة يأمرون بهدم ما بُني».

و«الـذي يـرجع لمبدأ (البناء على القبور) في (العـالم الإسـلامي)، يـراه مرتـبطاً بقـيام (دولـة القـرامطة) في (الجزيـرة العربـية)، (والفاطميين) في (المغرب) ثم في (مصر)»[3].

الملاحظة الرابعة عشرة: ذكر في (ص٩٩)؛ أنَّ مـن الخطـط الـتي وضِعت (للشيخ محمد ابن عبدالوهاب)؛ نشر قرآن فيه التعديل كما جعل في الأحاديث من زيادة ونقيصة.

أقول: إليك عقيدة الشيخ -رحمه الله- في (القـرآن الكـريم)، وحكـم الـزيادة فـيه، والنَّقص منه:

---

(١) «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان»: (ص٥١٠).

(٢) «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان»: (ص٥١٠) في الحاشية.

(٣) «تصـحيح خطـأ تـاريخي حـول الوهابـيَّة» للدكتور محمد بن سعد الشويعر: (ص١٠٣)

قـال –رحمـه الله-: «واعـتقاد مـا يُخالف كـتاب الله كفـر»اهــ[1]، وقـال –رحمـه الله-: «فمـن اعـتقد مـا يُخـالف كـتاب الله فقـد كفـر»اهــ[2]، وقال –رحمه الله-: «ومن اعتقد عـدم صـحة حفـظ القـرآن الكـريم مـن الإسـقاط، واعـتقد ما ليس منه أنه منه؛ فقد كفـر»اهــ[3]، وقـال –رحمـه الله-: «ومُكذِّب القـرآن كافـر لـيس له إلا السـيف وضـرب العنق» اهـ[4]، وقال –رحمه الله-: «ومن هزل بشـيء فـيه ذكر الله، أو القرآن، أو الرسول؛ فهو كافر»اهـ[5].

الملاحظة الخامسة عشرة: ذكـر في (ص ١٠١)؛ أنَّ (الشـيخ محمـد بـن عبدالوهاب) استبعد أن يقـدر عـلى (هـدم الكعـبة) عند الاستيلاء عليها.

أقول: أكـتفي بـالجواب عـلى هذا الهراء؛ بـنقل شـهادة (رجـل) (ليس من أهل نجد)، بـل وليس من مؤرخي (المشارقة)، وإنَّما هو مـن مؤرخي (المغاربة)؛ يحكي لنا واقعة بعد وفـاة (الشـيخ محمـد بـن عـبدالوهاب) (بعشـرين سـنة) تقريـباً، وهـذا الـرَّجل هو (أحمـد الناصـري) صـاحب كـتاب: «الاستقصـاء في تـاريخ المغرب الأقصى»[6]، وقـد غطَّـى حـيِّزاً كـبيراً مـن أخـبار (دعوة الشـيخ محمـد بـن عـبدالوهاب)؛ بأكـثر من (عشر صفحات).

يقـول (أحمـد الناصـري) عـن السـلطان (سـليمان بـن محمـد بن عبدالله العلوي)[7]: «أنَّـه أراد أن يـتحقق مـن (ابـن سعود) وما يدعـو إلـيه، فأرسـل ابنه (المولى إبراهيم) في جماعـة مـن عـلماء المغـرب وأعـيانه، ومعـه (جـواب) من والده، فوصلوا إلى (الحجاز)، وقضـوا (المناسـك)، وزاروا (الروضـة الشـريفة)، كـلُّ هـذا على (الأمن والأمان)، (والبرِّ والإحسان)».

---

(١) «رسالة في الرَّدِّ على الرَّافضة»:(١٤،٧).

(٢) «رسالة في الرَّدِّ على الرَّافضة»:(٨).

(٣) «رسالة في الرَّدِّ على الرَّافضة»:(١٥).

(٤) «رسالة في الرَّدِّ على الرَّافضة»:(٢٥).

(٥) مؤلفـات الشـيخ «القسـم الأول- العقـيدة- ص١١٨».

(٦) (٨/ ١٢٠-١٢٢).

(٧) الذي بويع في (فاس) في حدود عام (١٢٢٦ هـ)، وقـد كـان معاصـراً للإمـام (عـبدالله بـن سـعود)، ووالـده الإمام (سعود بن عبدالعزيز)؛ الـذي دخـل مكـة المكـرمة في المرَّة الأولى حاجاً عام (١٢١٤هـ) الموافق لعام (١٧٩٩م).

ثم أردف (أحمد الناصري) قائلاً: «حدثنا جماعة وافرة ممن حجَّ مع (المولى إبراهيم) في تلك السَّنة، أنَّهم ما رأوا من ذلك (السلطان) -يعني الإمام سعود-؛ ما يُخالف ما عرفوه من (ظاهر الشريعة)، وإنَّما شاهدوا منه، ومن أتباعه غاية الاستقامة، (والقيام بشعائر الإسلام)؛ من (صلاة وطهارة)، (وصيام)، (ونهي عن المنكر الحرام)، (وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام)؛ التي كانت بهما من غير نكير، وأنَّه لمَّا اجتمع (بالشريف المولى إبراهيم)، أظهر له التّعظيم الواجب (لآل البيت الكريم)، وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته، وكان الذي تولَّى الكلام معه (الفقيه القاضي)؛ (أبو إسحاق إبراهيم الزرعي)»اهـ[1].

الملاحظة السادسة عشرة: ذكر في (ص ١٠١-١٠٢)؛ أنَّه بعد سنوات من العمل تمكنت الوزارة من جلب (محمد بن سعود) إلى جانبها، فأرسلوا إلى (محمد بن عبدالوهاب) رسولاً يُبيِّن له ذلك، ويظهر وجوب التعاون بين (المحمدين)؛ فمِن (محمد بن عبد الوهاب) الدين، ومن (محمد بن سعود) السلطة . . .

أقول: المذكور الثابت في (كتب التاريخ) أنَّ الشيخ (محمد بن عبدالوهاب) -رحمه الله- ذهب إلى (الدِّرعية) بلد (محمد بن سعود)، فعلِم به خصائص من أهل (الدّرعية)، فزاروه خفية، ورأوه لا يزال على سبيل الرسول ﷺ (ثابتاً)، فأرادوا أن يُخبروا (محمد بن سعود)، ويشير عليه بنصرته، فهابوا، فأشارت (المرأة) على (زوجها)، وكذلك أخواه (ثنيّان ومشاري)، بمساعدة الشيخ ونصرته، وألقى الله -سبحانه- في قلبه (للشيخ محبة)، فقام (محمد بن سعود) من فوره، وسار إليه، ومعه (أخواه)، فسلَّم عليه، ورحَّب به، وأبدى غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنَّه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده، وقال: أبشر ببلاد خير من بلادك، وأبشر بالعزِّ والمنعة.

فقال (الشيخ): وأنا أبشِّرك بالعزِّ والتمكين، وهذه كلمة «لا إله إلا الله»؛ من تمسَّك بها وعمل بها ونصرها، ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وأول ما

---

(١) وانظر: «الإعلام بمن حلَّ مراكش وأغمات من الأعلام» للعباس بن إبراهيم: (١٠/٦٨-٧٣). نقلاً من كتاب «تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية» بتصرف.

دعت إليه الرُّسل؛ من أولهم إلى آخرهم، وأنت ترى (نجداً) (وأقطارها) أطبقت على (الشّرك)، (والجهل والفرقة)، (وقتال بعضهم لبعض)؛ فأرجو أن تكون (إماماً) يجتمع عليه المسلمون، وذريتك من بعدك.

ثمَّ لَّما تحقَّق (محمد بن سعود) من (معرفة التوحيد وفضله)، ورأى بُعدَ الناس في (الواقع) عنه، فقال (للشيخ): يا شيخ! إنَّ هذا دين الله ورسوله (الذي لا شكَّ فيه)، وأبشِر بالنُّصرة لك ولما أمرت به، (والجهاد لمن خالف التوحيد)، ولكن أن أشترط عليك اثنين:

الأولى: نحن إذا قمنا في (نصرتك) (والجهاد في سبيل الله) وفتح الله لنا ولك (البلدان)؛ أخاف أن ترحل عنا، وتستبدل بنا غيرنا.

الثانية: أنَّ على أهل (الدّرعية) قانوناً آخذه منهم في (وقت الثمار)، وأخاف أن تقول: لا تأخذ منهم شيئاً.

فقال (الشيخ): أمّا الأولى؛ فابسط يدك: الدَّم بالدَّم، والهدم بالهدم، وأما الثانية؛ فلعلَّ الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها.اهـ[1]

الخاتمة:

قد وجد القدح في (هذه الدّعوة) صدىً في نفوس (راغبي الزعامة) (والتسلُّط)؛ باسم (المعرفة والعلم)، ولدى (أصحاب الأهواء) (والمصالح الظاهرة) أيضاً.

هذا من (جانب)، ومن (جانب) آخر انطلت (النِّسبةُ) إلى (الوهاب): (الوهّابيّة) نبزاً بدعوة الشيخ!!، وهي نسبة غير صحيحة -من حيث مراد الطاعنين-، لأنّهم لو نسبوها (للشيخ محمد) لصارت (محمدية)، ولا يتحقق لهم ما أرادوا؛ لأنَّ (الدِّين الإسلامي) كلّه يُسمّى (الرِّسالة المحمديّة)، نسبةً إلى محمد ﷺ، الذي بلّغها عن ربه.[2]

وما أرادوه بالطعن منقلبٌ عليهم فـ (الوهابيّة) نسبة إلى الله -تعالى- الذي من أسمائِه -سبحانه-: «الوهاب»؛ فالحمد لله .

---

(١) انظر: «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السَّلفيَّة» (٢/ ١٦٢-١٦٧) بتصرف.

(٢) «تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية» (ص٧٩).

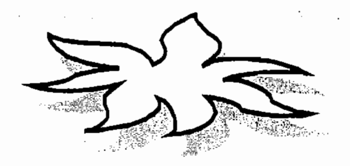
ولا أستبعد أن يكون جميع من كتب متهجماً على (الشيخ محمد) (ودعوته)، ومن يقوم بنشرها بين الناس بأنه لم يقرأ واحداً من كتبه؛ سواء في (التوحيد والعقيدة)، أو (الفقه والأحكام)، أو (التفسير)، أو (السيرة النبوية)، بل إنه لم يناقش رأياً مما قال، وإنما حركتهم (المصالح الدنيوية)، (وأعماهم الهوى) . . .[1]

وقد أثبتت الأيام (صدق وإخلاص) (الشيخ محمد) -رحمه الله-؛ حيث بقي صدى الدَّعوة، بل ازداد، وحَرَصَ الناس (في كل مكان) على تتبُّع (كتبه) -رحمه الله-، (ودراستها)، كما عاد كثير (من المناوئين) إلى (رشده)، بعدما استبان لهم (سلامتها)، (وصدق هدف الدَّاعية)؛ (لأنَّ الحقَّ أحقُّ أن يتَّبع)[2].

هذا إلى (جانب) اهتمام المسلمين بها في كلِّ مكان، وتحقُّق طلبة العلم (من صدق الهدف)، وبُعدها (عن مسارب البدع والخرافات) التي أنكرها (علماء الإسلام) في كلِّ مكان.

ولقد زاد الأمر وضوحاً أنَّ الناس في كلِّ مكان ما كانوا ليقنعوا إلا بما هو (واضح) (يدعمه الدليل)، فوضح أمامهم أن (محمد بن عبدالوهاب) كغيره (من الدعاة المصلحين) جاء (ليجدد الدعوة) و (ينقِّي العقيدة من الفساد)؛ الذي أُدخل عليها (نتيجة الجهل)؛ (أداءً للأمانة)، (ونصحاً للأمة)، ليعيد الناس بأعمالهم واعتقاداتهم إلى (منهج السَّلف الصالح)، منذ عهد رسول الله ﷺ، إلى نهاية القرن (الثالث الهجري)؛ حيث بدأت البدع تدخل الصف الإسلامي، نتيجة غلبة الأمم، والتأثر بثقافات الأمم الأخرى في معتقداتها، ولضعف العلماء في أداء الأمانة[3].

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



---

(١) «تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية» (ص٨٤-٨٥).

(٢) «تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية» (ص٩٠).

(٣) «تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية» (ص١١٢).